- ٥ -

قوة ثالثة.. بين قوتين

كان النبى عليه الصلاة والسلام فى الجزيرة العربية، يقوم بنشر الدعوة.. ويجابه قريشا ويحطم كبرياءها فى بدر، ويستعد لجولات أخرى مع قريش، ومع اليهود الذين ينكثون عهودهم، ومع ما جاروه من قبائل أخرى تنضم بعضها إلى مكة وبعضها الآخر ينظر أى كفة ترجح.. كفة النبى أم كفة أعداء الإسلام.. بينما الأوضاع قلقة فى شبه الجزيرة العربية كلها .. البعض يخشى على مستقبله وعلى ما درج عليه من عادات وتقاليد، جاء الإسلام ليجتثها من الأعماق.. والبعض الآخر يراقب الأحداث وهى تجرى بسرعة.. وكل يوم يمر تزداد قوة الإسلام والمسلمين.

بينما النبى فى المدينة يقوم بكل هذه الأعباء الجسام.. مناضلا ومجاهدا.. وملبيا نداء ربه ..وفى نفس الوقت عابدا متهجدا لله.. يقوم ليله.. حتى.. تتورم قدماه.. وهو يناجى ربه العظيم.. ويقيم أعظم مجتمع عرفه التاريخ ..بينما كان النبى يقوم بكل هذا.. كانت تدور أحداث خطيرة على مستوى العالم الخارجى.. أو القوتين الكبيرتين اللتين كانت بأيديهما مقاليد ذلك العالم.. وهما دولة الفرس، حيث يتربع الأكاسرة على عرشها.. ودولة الرومان حيث يتربع القياصرة.. فدارت بينهما الحروب المهلكة.. وما كان يدور بخلد أكاسرة الفرس، وأباطرة روما.. وهما يتصوران أنهما يملكان السيادة على الدنيا كلها.. أنهما سيواجهان هذه الدولة الجديدة التى يقيم دعامتها على العدل.. محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.. فى المدينة.

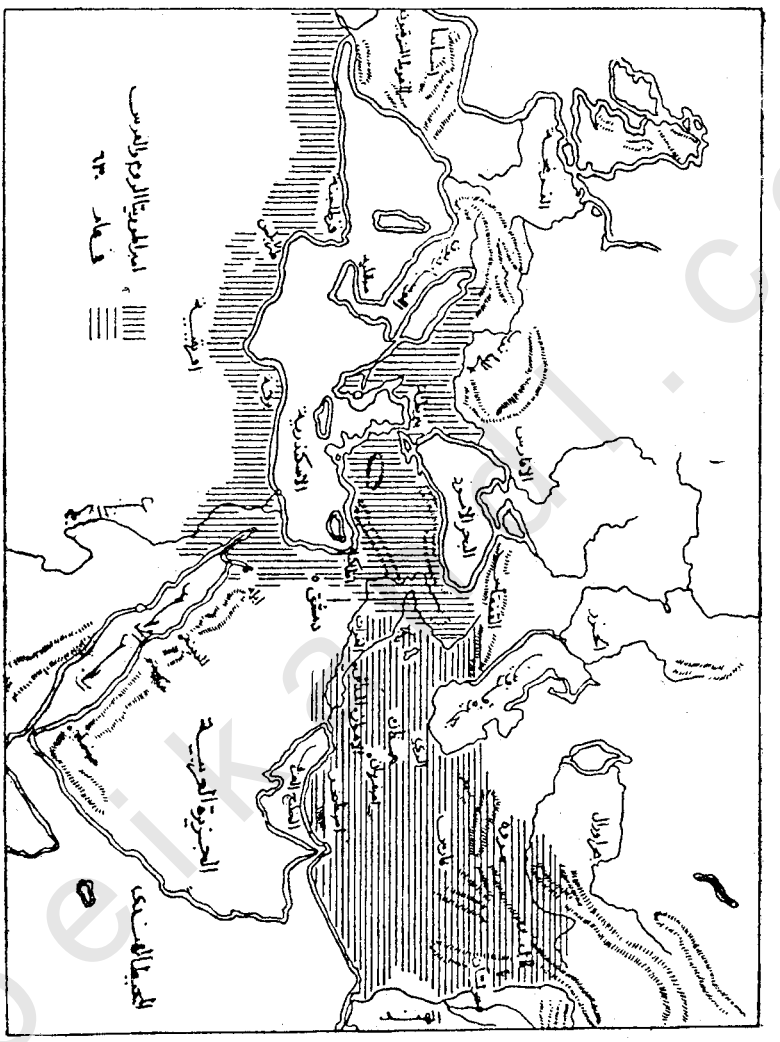

obeikandi.com

وكان الصراع على أشده بين الدولتين الكبيرتين.. فعندما اعتلى هرقل عرش القسطنطينية عام ٦١٠ ميلادية.. وما كاد يتربع عليه.. حتى اجتاحت جيوش كسرى أنطاكية والقدس عام ٦١٤، وبعدها بعامين سقطت مصر تحت سنابك جيوش كسرى.. كما زحفت الجيوش الفارسية الأخرى عبر أسيا الصغرى، حتى اقتربت من أبواب القسطنطينية.. وفى الوقت الذى داهم فيه الامبراطورية خطر الفرس، كان هناك خطر آخر قادم على الامبراطورية، يهدد كيانها، قادم من مناطق روسيا الجنوبية .. وكان شعب من البرابرة يطلق عليه الأفارس.. وكان هذا الجيش قد استطاع اجتياح البلقان، مقتربا من أسوار القسطنطينية.

وأمام هذا الخطر الزاحف والكاسح من الفرس ومن البرابرة.. قرر كسرى أن يهرب، إلى قرطاجنة، حيث يوطد دعائم ملكه هناك فى الشمال الأفريقى!!

ولكن البطريك نصحه أن يعقد هدنة مع أعدائه.. وخصوصا الفرس، حتى يدعم ملكه.. وبعد مفاوضات مضنية وافق كسرى على الهدنة بشروط مهينة للرومان.. فقد فرض على الرومان فدية كبيرة.. قبلها هرقل صاغرا.. لإنه بجانب الأخطار التى كانت تتهدده من الخارج كان الصراع بينه وبين مجلس الشيوخ على أشده، فى سبيل أيهما يكون له السلطة، والهيمنة على الحكم.. وأخذ هرقل يخطط لمستقبله ومستقبل الروم.. وبدأ خطته بأن سلم مقاليد الحكم لمجلس الشيوخ والبطريرك .. وقرر أن يهرب من الحصار المفروض عليه من الفرس والأفارس، ويحقق طموحاته الحربية، ويستطيع بالفعل أن يخرج بجيش كبير على أسطوله، وعبر الدردنيل ونزل إلى الساحل الشمالى من خليج الإسكندرية وسيطر على (بوابة كيكية) فى مضيق جبل طوروس.. وأقام معسكره قريبا من المكان الذى أقام فيه الإسكندر الأكبر، وقهر جيش بزعامة (دارا) قبل هذا التاريخ بألف عام ! واستطاع أن يحطم إمدادات الجيش الفارسى ثم يعود عام ٦٢٢ إلى القسطنطينية..

وفى دوامة هذا الصراع بين الامبراطوريتين الكبيرتين اللتين تسيطران على العالم المعروف كله.. كان النبى قد هاجر إلى المدينة يوطد دعائم دعوته.

وظل هرقل بعد ذلك يشن هجمات مضادة على الفرس.. إلى أن استطاع الانتصار على الفرس، وعلى الآفارس، واضطر الفرس إلى الانسحاب من مصر وسوريا ومن ضفاف البسفور أيضا.

وبينما يوالى هرقل انتصاراته على الفرس.. كان يدور فى داخل الأراضى الفارسية صراع عنيف أيضا على السلطة فقام شيرويه باغتيال والده كسرى أبروبز عام (٦٢٨) واتفق الفرس والرومان على معاهدة .. تعود الحدود بينهما إلى ما كانت عليه عام (٦٠٢)..

يوم عصيب

لنرجع إلى مدينة الرسول العظيم.. حيث يفوح عطر النبوة.. وجلال الرسالة .. ولنرجع إلى صراع الكفر مع الإيمان.. فها هى قريش قد عادت إلى مكة ممزقة تعتصرها الأحزان، ويلفها ظلام الهزيمة.. وقد فقدت على ثرى بدر عددا من ساداتها.. وعددا من كبار رؤوس الكفر الذين طالما كادوا للإسلام ورسول الإسلام.. ها هم يرجعون منكسى الرؤوس، فقد أذلتهم الهزيمة، وجللهم العار.. واستقبلتهم مكة بأثواب الحداد.. وفى الصدور ما فى الصدور من حقد وكمد، وهم يرون راية الإسلام ترتفع فى سماء المدينة.. ويشعرون بأنهم سيعيشون مستقبلا بالغ القتامة..فمعركة بدر لن تكون الأخيرة.. وتجارتهم إلى سوريا لن تنجو أبدا من تهديدات المسلمين، وهى فى نفس الوقت عصب حياتهم.. بل إن الحياة بلا تجارة تعنى الموت.. والتجارة لابد أن تمر بشكل أو بآخر تحت تهديد المسلمين.. والمسلمون قد أصبحوا قوة يحسب لها ألف حساب.. فلابد من الثأر ..ولابد من الانتقام..ولعبت العصبية القبلية فعل السحر فى النفوس، فباتت ولا حديث

لكل بيت إلا الثأر من المسلمين.. والاستعداد لهذا اليوم الذى يمكن أن يرفع فيها المكى رأسه، ويعلن بين القبائل أنه انتقم لهزيمة بدر.. وقد بلغ الحقد منتهاه، حتى مات كمدا عدو الله أبو لهب بعد أن سمع بانتصار المسلمين.

وكان العباس عم النبى يراقب ما يجرى على ساحة مكة بحذر.. وما كانوا يشكون فيه لأنه لم يدخل دين ابن اخيه.. وقد قرر فيما بينه وبين نفسه أن يبلغ ابن أخيه ما يدبره المشركون حتى لا يفاجئوا النبى فى المدينة بجيشهم ويقضوا على الدعوة فى مركزها.. ولم يكد يمضى عام على هزيمة بدر، حتى خرجت قريش بجيش ضخم يضم ثلاثة آلاف رجل، فيهم مائتا فارس، وسبعمائة من أصحاب الدروع.. وخلف هذا الجيش كانت هناك بعض النسوة ذهبن لتشجيع جيش الكفر، وعلى رأسهن هند بنت عتبة زوجة أبى سفيان، والتى كان يغلى الحقد فى قلبها، وخاصة على حمزة عم النبى الذى قتل ابن عمها شيبة فى بدر.. كما أجهز على أبيها عتبة، وقد أغرت عبدا لمطعم بن جبير يسمى (وحشى).. أن يقتل حمزة لانه كان ماهرا فى رمى الحربة.. ووعدته بالمال الكثير إن حقق هذا الأمل العزيز إلى نفسها!!

وسار جيش الكفار صوب المدينة، تهزه النشوة بكثرة عدده وعتاده، وتهزه.. الكبرياء الجريحة فى معركة بدر.. وكان منتهى آمال هذا الجيش هو القضاء على رسول الله نفسه.

وخشى العباس عم النبى أن يهاجم جيش الكفر النبى بغته، فأرسل برسالة إلى ابن أخيه مع رجل يثق فيه من غفار، يحذره من الجيوش القادمة إلى المدينة.. وقد سلم الرجل الرسالة، وكان النبى فى قباء.. وانتشر الخبر فى المدينة، وأخذ اليهود والمنافقون يروجون الإشاعات، ويبذرون الفتن، ويشككون الناس فى النصر.. وأخذ النبى للأمر عدته.. رغم أن الوقت قصير لاستعداد، وكان من رأى النبى أن يظل فى المدينة يدافع عنها من الداخل، وكان ذلك أيضا - بجانب رأى الرسول الكريم - رأى عبد الله ابن أبى، ولكن عددا من الشباب، كان يرى فى ذلك تخاذلا وأنهم لابد أن

يواجهوا كفار مكة، يذيقونهم نفس الهزيمة التى ذاقوها فى بدر.. وتحمس الكثيرون لهذا الرأى.. والنبى كان دائما يستشير أصحابه فيما لا ينزل فيه وحى..فنزل على رأيهم، وصلى النبى بالناس صلاة العصر، وأمرهم بالاستعداد للقتال.. على أن يبقى الأطفال والنساء فى الحصون، ودخل بيته عليه الصلاة والسلام، ولبس عدة الحرب.. وخرج يقود الناس فى معركة مع الشرك..ولكن الناس أخذوا يتناقشون فيما حدث من حوار بينهم وبين النبى، فإذا كان النبى قد نزل إلى آراء الناس لأن أكثرهم كان مقتنعا بالخروج خارج المدينة على عكس رأى النبى.. فقد خافوا أن يكون النبى قد حزن لذلك وقرروا أن يعودوا للرسول مرة ثانية يعرضون النزول عند رأيه.

رأى شباب المدينة..

وخرج إليهم الرسول الكريم.. مهيبا.. جليلا.. تطل من قسمات وجهه النور.. فقد تقلد سيفه، وترسه وراء ظهره.. وعرضوا عليه أن يتبعوا مشورته ويحاربوا داخل المدينة، وهو قتال لم تألفه قريش، ولكن النبى قال لهم:

- لقد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم، ولا ينبغى لنبى إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه..

وأخذ النبى ينظم جيشه.. ثلاثة ألوية.. أحدهما يحمل لواءه مصعب ابن عمير عن المهاجرين، والثانى يحمله عن الأوس (أسيد بن حضير) والثالث يمثل الخزرج ويحمله (الحباب بن المنذر)..

وخرج النبى على فرسه فى ألف فارس من المهاجرين والأنصار منهم مائة يلبسون الدروع..

وكم كان المشهد رائعا ومهيبا، فى ذلك اليوم.. وكان اليوم السادس من

شوال فى السنة الثالثة من الهجرة.. وكانت الشمس قد جنحت نحو المغيب، والرسول الكريم يتقدم صوب أحد لملاقاة أعداء الله، بقيادة أبى سفيان ابن حرب، ومضى الرسول الكريم بجيشه، وفى الطريق خرج عبد الله بن أبى بن سلول المنافق الكبير عن جيش الرسول وكان معه ثلثمائة رجل، وعادوا إلى المدينة بحجة أن النبى لم يستمع إلى مشورته فى البقاء فى المدينة، والمحاربة فيها، بينما استمع إلى رأى الشباب..!

وهكذا فقد جيش المسلمين ثلث قوته..

وسار النبى ﷺ، وكان ذلك بعد أن صلى الفجر فى السابع من شوال، عبر جبل أحد.. حتى إذا ما ظهرت الشمس كان النبى قد عسكر بجيشه أمام سفح جبل أحد.. حتى يكون الجيش محميا من الظهر بالجبل، وأمر خمسين رجلا من الذين يحسنون الرمى أن يقفوا فى الأماكن التى حددها لهم فوق جبل أحد، وأمرهم ألا يتركوا أماكنهم مهما كانت نتيجة المعركة، وكان أميرهم عبد الله بن جبير..

وقال النبى لقائدهم:

- انضح الخيل عنا بالسهام فارشقوهم بها، فإن الخيل لا تقدم عليها.. إنا لا نزال غالبين ما ثكنتم مكانكم. «اللهم إنى أشهدك عليهم»..

ووقف النبى العظيم.. بشخصيته الآسرة.. ومهابته، يوجه للمقاتلين حديثا.. ويحثهم على الجهاد: حمد الله واثنى عليه وقال:

- ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله تعالى إلا وقد أمرتكم به.. ولا أعلم من عمل يقربكم من النار إلا ونهيتكم عنه، وانه نفث إلى الروح الأمين انه لن تموت نفس حتى تستوفى أقصى رزقها، لا ينقص منه شىء وإن ابطأ عنها.. فاتقوا الله ربكم واجملوا فى طلب الرزق، لا يحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية الله.. والمؤمن من المؤمن كالرأس من الجسد، إذا اشتكى تداعى له سائر جسده.. والسلام عليكم..

وأصبح جيش المسلمين معداً أحسن إعداد للدفاع أمام جيش يفوقه عددا وعتادا وإذا بالمشركين يذهلهم ما وجدوه من حسن قيادة النبى..

وكان جيش قريش قد عقد قيادته لأبى سفيان وكان هو قلب الجيش، أما الميمنة فكانت بقيادة خالد بن الوليد.. والميسرة بقيادة عكرمة بن أبى جهل، وصفوان بن أمية بن خلف على رأس المشاة..

ولما كانت المعركة تبدأ بالمبارزة بين عدد من الفريقين، فقد خرج من صفوف المسلمين، على بن أبى طالب، وحمزة بن عبد المطلب وسعد بن أبى وقاص، وقتلوا حملة اللواء من قريش من بنى عبد الدار.. وسقط فى بداية المبارزة سبعة من حملة اللواء من قريش..

وابتدأ القتال عنيفا.. المسلمون يقاتلون قتال الأبطال.. وفى الساحة ترتفع سيوف المسلمين على رقاب المشركين، فتتطاير الرؤوس.. والرماة على جبل أحد يسندون ظهور المسلمين.. ووسط المعركة برزت سيوف هى الموت بعينه تحصد أعداء الله.. برزت سيوف حمزة، وعلى، وأبى دجانة.. وتحت ضغط سيوفهم تهاوت الرؤوس.. وكان هناك (وحشى) يترقب حمزة، وانتهز فرصة تعثره فى حفرة، وسقوطه على ظهره فرماه بحربته فسقط شهيدا..

خطيئة الرماة..

وانكشف العدو.. وتراجعوا أمام ضربات المسلمين.. تاركين قتلاهم.. وأسلحتهم.. وتصور الرماة أن قريشا قد هزمت هزيمة منكرة، فنزلوا من فوق أحد طمعا فى الغنائم.. وعصوا ما أمرهم به رسول الله ﷺ، وكان خالد بن الوليد يرقب أرض المعركة بعينى صقر.. ووجدها فرصة أن يلتف حول المسلمين، بعد أن ترك الرماة أماكنهم.. ويفاجئهم من الخلف، ويصبح المسلمون محاصرين من الأمام والخلف من جيوش مكة.. ثم كروا على

جيوش المسلمين من كل جانب، وأصاب الهجوم المسلمين بالذهول.. وكان هَمُّ قريش الأول هو قتل النبى ﷺ، وتوجه أحدهم إلى مصعب بن عمير فقتله.. وكان يظنه النبى ﷺ، وصاح بأعلى صوته بأنه قتل محمدا.. فإذا بهذا النبأ يهز أوصال المسلمين.. فإذا بعضهم يفر من هول المعركة.. إما إلى صخور أحد، أو فى محاولة للعودة إلى المدينة.

ووقف النبى فى المعركة صامدا.. مجالدا أعداءه.. وقلة من المؤمنين يحمونه بأجسامهم.. ويفدونه بأرواحهم.. وعند الشدة تبرز معادن الرجال.. فى هذه المعركة ظهرت بطولات أغرب من الخيال.. أناس قرروا أن يستشهدوا فداءً لنبيهم.. فهذا هو طلحة بن عبيد الله يفدى رسول الله بسيف كان موجها إليه، فيتلقاه بيده.. وتطير أصابعه.. ويظل هو فى دفاعه المجيد عن النبى ﷺ.

وفى هذا الموقف تبرز شجاعة (أبو دجانة).. وهو يضرب بسيفه أعداء الله.. ويتغنى بأبيات من الشعر.. والأعداء يتساقطون أمام سيفه.. وهو واقف يحمى الرسول الكريم:

أنا الــذى عاهدنى خليلى ونحن بالسفح لدى النخيل

ألا أقوم الدهر فى الكبول أضرب بسيف الله والرسول

وهو يقصد أن يضرب فى الصفوف الأمامية كما علمه خليله عليه الصلاة والسلام.. وقد استشهد أبو دجانة بعد أن حارب بسيفه، ثم أخذ يحمى الرسول بجسده، ويتلقى الطعنات الكثيرة، إلى أن خرجت روحه الطاهرة إلى أعظم رحاب.

ومن الصور الرائعة للجهاد، صورة أنس بن النضر، الذى حث بعض القاعدين من المسلمين عن الجهاد، بعد أن صدقوا أن النبى قد قتل، وطلب منهم أن يموتوا على ما مات عليه الرسول الكريم، وقاتل بشجاعة منقطعة النظير، حتى سقط شهيدا..

ويجاهد عبد الرحمن بن عوف جهادا عظيما، حتى كسرت أحدى ساقيه.. وتدافع الكفار صوب الرسول العظيم.. السهام مصوبة نحوه ..والسيوف متجهة إليه.. والرماح تنطلق تريده.. حتى الحجارة استعملوها للنيل منه، وكسرت سنة للنبى، وشج وجهه.. وخرجت الدماء تملأ وجهه الشريف.. وتقدم إليه (أبى بن خلف) يريد قتله، فأخذ النبى حربة وصوبها نحوه، فسقط مضرجا فى دمائه.. وبدأ القتال يهدأ.. فقد اعتقد الكافرون أن النبى قد قتل، وكذلك بعض المسلمين، فقريش قد اعتقدت أنها حققت النصر الأعظم بقتلها النبى.

ورأى كعب بن مالك النبى ﷺ، فصاح يبشر المسلمين بأن النبى على قيد الحياة، وأمره النبى بالصمت فصمت، وجاء أبو بكر وعمر، وعلى بن أبى طالب، حيث الرسول الكريم، والدماء تنزف منه. فأخذوه إلى كهف بجبل أحد يشاهد المعركة من مكانه الأمين هذا.

وانشغل المشركون بقتلاهم.. وأخذوا يُمَثلون جثث الشهداء من المسلمين.. وقد بلغت قسوة هند بنت عتبة، أن أخرجت كبد سيد الشهداء حمزة ولاكتها بفمها.. ولم يتورع أبو سفيان نفسه، أن يذهب إلى جثة حمزة، ويضربها برمحه ويقول له: ذق عقق (أى تذوق أيها العاق).

وعندما رآه سيد الأحباش، واستنكر فعلته، خجل وخشى أن يعير بذلك، فطلب من (الحليس) ألا يذكر شيئا عما رآه!

بيننا وبينكم موعد..

وكان منتهى أمل أبى سفيان، أن ينتشى طربا ويتأكد من موت النبى، فنادى المسلمين، يسأل عن النبى وأصحابه.. وساد الصمت.. استجابة لأمر رسول الله.. ولكن عمر بن الخطاب ما كان ليحتمل تشفى أبى سفيان فى النبى، وفرحه بموته فرد على أبى سفيان:

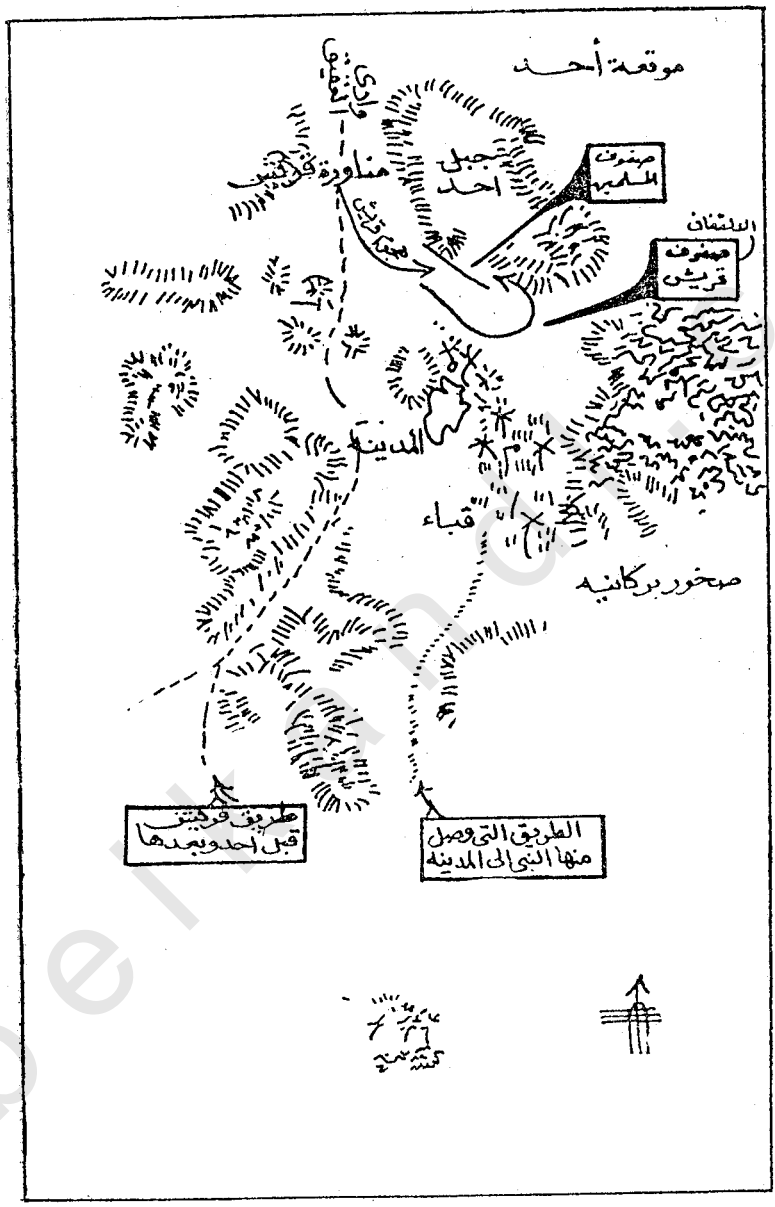

موقعة أحد
جبل أحد
مناورة قريش
صفوف المسلمين
الالتفاف
صفوف قريش
هجمات قريش
المدينة
قباء
صخور بركانية
طريق قريش قبل أحد وبعدها
الطريق التي وصل منها النبي إلى المدينة

- كذبت يا عدو الله . . قد أبقى الله لك ما يسؤوك . .

قال أبو سفيان: أقتل محمد؟

قال عمر: أنه يسمع كلامك الآن . .

قال أبو سفيان: أنت أصدق عندى من ابن قميئة وأبر . .

وصاح أبو سفيان: إن الحرب سجال . . أعل هبل . . أعل هبل . .

أمر النبى عمر أن يرد عليه بقوله: إن الله أعلى وأجل . . لا سواء . . قتلانا فى الجنة . . وقتلاكم فى النار.

وأنصرف أبو سفيان وهو يقول: إن موعدكم بدر للعام القادم . .

وأمر الرسول من يرد عليه: نعم هو بيننا وبينكم موعد . .

وأمر النبى على بن أبى طالب أن يتبع قريشا، هل هم يريدون المدينة . . فالمدينة ليس فيها من يحميها، أم أنهم يتوجهون إلى مكة . .

فقال لعلى:

- «اخرج فى آثار القوم، فانظر ماذا يصنعون، وما يريدون؟ فإن كانوا قد جنبوا الخيل وساقوا الأبل، فإنهم يريدون المدينة . . والذى نفسى بيده، لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم».

وخرج على فى أثرهم وعاد ليخبر النبى أنهم اتجهوا صوب مكة . .

انتهت المعركة التى سقط فيها سبعون شهيدا من المسلمين، وسقط فيها من المشركين اثنان وعشرون قتيلا . . وانفض تراب المعركة . . وخرج المسلمون يدفنون موتاهم . . هؤلاء الذين مثل بهم المشركون . . وقد خرج النبى من هذه المعركة مثقلا بالجراح . . فقد كان الهدف الأول لانتقام مكة . ولكن النبى العظيم . . الذى قال لعلى الذى أحضر له ماء يمسح به جراحه: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم؟

النبى العظيم رغم جراحه.. وإرهاقه، سأل عن سعد بن الربيع هل هو فى الأحياء أم فى الأموات؟ وكان سعد جريحا فى الرمق الأخير، توجه إليه أحد الأنصار فرآه فى آخر لحظات عمره.. من أثر الجراح.

قال له الأنصارى:

- إن رسول الله ﷺ أمرنى أن أنظر، أفى الأحياء أنت أم فى الأموات؟

قال: أنا فى الأموات، فأبلغ رسول الله ﷺ عنى السلام، وقل له: أن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته، وأبلغ قومك.. عنى السلام، وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: أنه لا عذر لكم عند الله أن خلص إلى نبيكم ﷺ ومنكم عين تطرف.. و..مات سعد وأخبر الأنصارى خبره لرسول الله.

وخرج النبى إلى ساحة المعركة.. ووجد عمه حمزة، وكيف مثلوا بجسده الطاهر..وأمام هذا المشهد الحزين.. وجثث الشهداء فى العراء..وقف أمام جثة حمزة وقال:

- لن أصاب بمثلك أبدا.. ما وقفت موقفاً أغيظ إلىّ من هذا .. إنا لله وإنا إليه راجعون.. رحمك الله يا عمى، لقد كنت وصولا للرحم، فعولا للخيرات، فوالله لئن نصرنى الله عليهم لأمثلن بسبعين منهم.

نزل قوله تعالى:

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾

[النحل:١٢٦].

وجاءت حيث الشهيد العظيم حمزة أخته صفية، ورأت ما أصاب أخاها.. فقالت بكل الإيمان:

- إن يوما أتى عليك ليوم كدرت شمسه وكان مضيئا..

وكان النبى يخشى عليها من هذا المشهد فأمر ابنها الزبير أن يردها حتى لا تشاهد ما يحزنها. .ولكنها شاهدت أخاها وترحمت عليه، واحتسبته عند الله.

وفى ساحة المعركة رأى النبى الكريم «مصعب بن عمير» الداعية الأول للإسلام فى يثرب، وهو راقد بين الشهداء فى حلة بالية. . فقال له الرسول العظيم:

- «لقد رأيتك بمكة، وما بها أحد أرق حلة، ولا أحسن لمة منك ثم أنت اليوم أشعث أغبر الرأس فى بردة»!!

ودفن المسلمون قتلاهم. . وقد أصابهم ما أصابهم من الإعياء الشديد. . ووقف النبى على قبورهم وقال:

أنا شهيد على هؤلاء. . إنه ما من جريح يجرح فى الله إلا وبعثه الله يوم القيامة يدمى جرحه، اللون لون الدم، والريح ريح المسك. .

ثم يعزم الرسول الكريم على العودة إلى المدينة. . وحوله الأنصار والمهاجرون. . وفى طريق العودة. . كان يدور فى نفوس المسلمين ما يدور من تلك الأحداث الدامية. . ماذا لو أطاعوا الرسول. . ولم يخالفوا أمره. . وينزل الرماة من فوق الجبل؟ وماذا لو لم يتفرق البعض منهم عن النبى والمعركة فى أوج عنفوانها ؟. .و. . ما أكثر الأسئلة التى دارت فى الأذهان. . لكن النبى الكريم. .أخذ يسير فى طريقه إلى مكة. . وهو الذى على خلق عظيم كما وصفه خالقه فلم يثر حول ما حدث أى حديث. . ترك أتباعه يستوعبون بأنفسهم الدرس. . ويعرفون أن النصر وإن كان من عند الله إلا أن عليهم أن يتخذوا أسباب النصر. . من جهاد وكفاح وتضحية. . وإطاعة لأمر النبى.

ولكن مع ذلك فالنبى الكريم يقول لهم كلمة تطمئن نفوسهم أن ما حدث فى أحد لن يتكرر مرة أخرى. . ولكن الانتصارات سوف تتوالى، وأن المسلمين سيدخلون مكة نفسها حيث بيت الله الحرام. قال لهم:

- والله لن ينالوا منا مثلها حتى نستلم الحجر».

وعاد نبى الله إلى المدينة.

استقبلته النساء اللائى فقدن أزواجهن أو أخواتهن أو أولادهن.. يعلو وجوههن الصبر الجميل.. فقد أطلت فى قلوبهن الآمال، وهن يرين رسول الله بينهن.. أن النبى يشاهد أم سعد بن معاذ التى فقدت ابنها عمر فى المعركة.. فيعزيها الرسول ..فتقول له: أما إذا رأيتك سالما فقد هانت على المصيبة.

وعاد الرسول إلى بيته.. متعبا.. وأذن بلال لصلاة المغرب، فخرج إلى المسجد، وصلى بالناس جالسا.

ويعبر القرآن الكريم بكلماته المعجزة، عن هذه المعركة، وما ينبغى أن يستفيد المسلمون بما فيها من دروس.

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

ثم يصور القرآن العظيم، منزلة هؤلاء الذين آثروا الموت على الحياة دفاعا عن العقيدة:

﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٧٠].

وما كان اليهود والمنافقون فى المدينة إلا أن يفرحوا.. وأن يظهروا شماتتهم حينا، ويخفوها أحيانا.. ولكن النبى العظيم كان يعرف ما يدور فى عقول هؤلاء الكافرين والمنافقين.. وحتى يظهر لهم أن الإسلام لم يضعف من جراء ما حدث فى أحد.. فإنه قد قرر فى اليوم التالى من العودة من أحد، أن يذهب فى أثر كفار قريش، وأمر النبى أن يخرج معه للجهاد الذين

شهدوا معه معركة أحد.. رغم جراحهم.. وأمر النبى عبد الله بن أم مكتوم أن يكون أميرا على المدينة أثناء غيابه عنها، وأعطى اللواء لعلى بن أبى طالب.. وأقام بحمراء الأسد ثلاثة أيام.. وعلمت قريش أن النبى قد خرج فى أثرهم فقرر أبو سفيان العودة إلى مكة وخشى أن يجابه المسلمين مرة أخرى، فينتصروا عليه، ويذهب النصر الذى حققته مكة فى أحد.

وكان هذا الموقف الرائع من النبى ﷺ، هو ما جعل اليهود والمنافقين يخشون قوة المسلمين وبأسهم.. وعلموا أن حركة الإسلام لن تتوقف.. وأن قوة المسلمين لم تضعف.. بل أن هذه المحنة زادتهم إصراراً على مجابهة الكفر والشرك.. وإنهم ماضون مع النبى وهو ينشر الرسالة مهما كانت ضراوة المعارك.. وقد وقع فى قبضة المسلمين أثناء عودتهم إلى المدينة (أبو عزة الشاعر) ..وكان النبى قد عفا عنه يوم بدر، على ألا يهجو المسلمين ووعد بذلك، ولكنه أخلف وعده.. وها هو اليوم وقد وقع فى قبضة المسلمين.. فأراد أن يحتال مرة ثانية.. وأن يتوسل للرسول أن يتركه، وأخذ يستعطف النبى، ولكن ما كان أن يخدع المسلمين مرتين.. فأمر النبى بقتله.. بعد أن قال له:

- «والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول: خدعت محمدا مرتين.. ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»..

* * *